اللّغة العربيّة وإشكال الهويّة في عصر العولمة

د: ليلى لعوير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنّ التّضخّم المعرفي والانفجار الإعلامي الّذي شهده عصر العولمة كمفهوم مفتوح على وحدة المعرفة الإنسانيّة وسيطرة دول المركز في ظلّ نظام عالمي ـ على بقيّة الدّول الأخرى في جميع المجالات الحيويّة كوحدة سيبيرنية موجّهة[1] جعل اللّغة العربية تعيش في هذا الخضم تحدّيات حقيقيّة، قوّضت منها كآليّة تواصل معرفي وإنساني في ظلّ الانفتاح على اللّغات الأخرى كالإنجليزيّة والفرنسيّة وغيرها من اللّغات ممّا أفضى إلى طرح سؤال الهويّة بوصف اللّغة محدّدا أساسيا للانتماء وصورة أم للكيان العربي والإسلامي بمعطياته العقديّة والثقافية والفكريّة والحضارية .

فهل هذا التّقويض للّغة هو تقويض للهويّة ؟ هل إنّنا ملزمون بالسير في أكوان الآخر اللّغويّة كي نضمن بقاء هويّتنا، أم أن الهويّة في شروطها اللغويّة مفتوحة على الإيمان بالإنّيّة الحضاريّة[2] وتعزيز الثّقة بالخصوصيّة الّتي تتجاوز كلّ الحتميّات الخارجيّة المفروضة على الدّاخل بفعل التثاقف .

لا شك أنّ سعي العولمة نحو جعل العالم المتعدّد والمتمايز والمختلف، في جغرافيّته ولغته وثقافته كتلة واحدة، يحرّكها ويهيمن عليها جهازا أحادي القطب، هو نوع من

---

[1] عقلة عرسان :الأسبوع الأدبي: ع1998/5/5، ص1.سوريا.

[2] الإنّيّة: أوّل من أورد هذا المفهوم هو ابن سينا في كتابه : الإشارات والتنبيهات، وهو يعني : الشعور بالذات. ومنه أخذ ديكارت المبدأ الّذي جعله محور فلسفته "أنا أفكّر إذن أنا موجود "أو ما عبّر عنه بالكوجيتو، ويعتبر العلاّمة الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم أوّل من أعاد إحياءه بنفس المعنى كأساس فلسفي لفكرة الوجود المستقلّ، ولقد أشار لكلّ هذه التّفاصيل في كتابه:أصالة أم انفصاليّة ط1، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1991، ج2، ص326ومابعدها.

الاستعمار الجديد[1] الّذي يشكّل خطرا على ثقافات الأمم عموما والثقافة العربية بوجه خاص، ذلك أنّ طبيعة المجتمعات "التّمايز "وعنصر الانتماء الثقافي يظلّ بعدا حضاريا يعلن عن وجود الأمّة واستمرار مشروعها المستقبلي المتميّز الّذي يصنعه الدين واللّغة والمعرفة والعمل والفنّ والأدب والتراث والقيم والتقاليد والأخلاق والوجدان ومعايير العقل والسلوك وغيرها من المقوّمات الّتي تتمايز في ظلّها الأمم والمجتمعات"[2].

غير أنّ هذا التّميّز سرعان ما يفقد وهجه وحضوره، حين يندمج في خطاب العولمة المفتوح على عولمة الثقافة الّتي تفرض نموذجا لغويا معيّنا، يحمل معطيات فكريّة وثقافيّة تنتمي لسلطة المركز، وهذا يعني أنّ المدخل الحقيقي للاستعمار هو الهيمنة اللّغويّة والثقافية وبالتالي التوجّه كما قال صمويل هانتينغتون "نحو حرب حضارية تكون فيها القيم الثقافيّة والرّمزيّة هي الحدود القتاليّة" [3].

ويتضح من هذا القول أنّ تصدير ثقافات ولغات معروفة بوسائل متطوّرة، هو في الحقيقة، عولمة للّغات، وضغط على الأمم المتخلّفة كي تتبنّى ثقافة المركز بلا شروط تحت ضغط نفسي قاهر قائم على قولة ابن خلدون المشهورة :" المغلوب مولع بتقليد الغالب" وشعور مستلب بعدم قدرة الأنا على مغالبة الآخر . إضافة إلى سعي العولمة اللّغوية إلى تكريس هذا الشعور وزرعه في العقول والوجدان بأحدث الطرق والوسائل كالانترنت بوصفه أسرع وسيلة تكفل للقوى الفاعلة تحقيق مآربها الماديّة القائمة على:

1- ترويج الأفكار والثقافات باعتبارها سلعا كغيرها تدخل مجال المنافسة من أجل تنميط الثقافة وخنق التمايز وتغييب الثقافات الأخرى.

2- عرض ثقافة المركز التي تقابلها اللغة المركز أي الانجليزية في المشرق العربي بوصفها أداة إنتاج للمعرفة واللغة الفرنسية في المغرب بوصفها مأثور استعماري تجتهد المنظمات الفرونكفونيّة في تكريسها والتمكين لها ،كمنظّمة الفرونكفونيّة الّتي أبان عنها

---

[1] محمّد عابد الجابري: العولمة في الساحة الفكرية الرّاهنة، جريدة الرّأي ع 21/مارس /1999، ص 11، وهران، الجزائر.

[2] حلاّم الجيلالي: أثر العولمة في اللّسان الرّسمي، مجلة اللغة العربية، المجلس الإسلامي الأعلى، ع 2001/5، ص 130، الجزائر.

[3] بوزيد بومدين، العربية متعبة بأهلها، الخبر، 29 جويلية، 1989، ص21، الجزائر .

فرنسوا ميتيران بقوله : " إنّ الفرونكفونيّة ليست هي اللّغة الفرنسيّة وحسب، إذا لم نتوصّل إلى الاقتناع بأنّ الانتماء إلى العالم الفرونكفوني سياسيا واقتصاديا وثقافيا يمثل إضافة، فإنّنا سنكون قد فشلنا في العمل الّذي بدأناه منذ سنوات"[1].

3-ترويج فكرة أنّ اللغة العربية ليست لغة علم وتطوّر وحضارة، وبالتالي الأولى تبنّي لغة المركز (الانجليزية خصوصا) لاسيما وأنّ معظم المنجزات العلمية والإعلامية تصدر بها. فعلى مستوى الإعلام مثلا تشير الدّراسات إلى أنّ :

25% من برامج الإذاعة باللغة الإنجليزية80 % من الأفلام ناطقة بالإنجليزية.

90 % من الوثائق المنجزة في الأنترنت بالإنجليزية.

85 % من المكالمات الهاتفية الدولية تتم بالإنجليزية[2].

إنّ الصراع اللّغوي بهذه المعطيات، وتحديدا فيما تعلّق باللغة العربية هو صراع ثقافي، بوصف اللّغة سمة ثقافيّة تتحدّد بها هويّة الأمّة، بكلّ ما تحمله من تاريخ وفكر وعقيدة ومعتقدات، والاندماج في الآخر المختلف دون الالتفاف حول الأنا والدفاع عن خصوصياته، وتحريكه وفق معطيات العصر هو في الحقيقة بداية أزمة الهوية وبداية التقويض للغة بوصف استخدام اللّغة الأجنبيّة بديلا عن اللغة الأم أمر حذّر علم اللغة الاجتماعي من استمراره وتكريسه لأنّه يضعّف من قوّة الأمّة ويحملها على التبعية والسلبية . وتبعا لهذا نتساءل متى تطرح اللغة كإشكال هويّة[3] :

---

[1] بن سالم حميش: الفرونكفونيّة والفرنسية، المستقبل العربي، ع200، مايو 2000، ص33وما بعدها

[2] نبيل علي :الثقافة العربية وعصر المعلومات . رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، عدد خاص /2001، ص273.

[3] تستعمل كلمة هويّة في الأدبيات المعاصرة للأداء معنى كلمة idintity الّتي تعبّر عن خاصيّة مطابقة الشّيء لنفسه أو مطابقته لمثيله.وهي في المعاجم الحديثة لا تخرج عن هذا المضمون، فالهويّة هي حقيقة الشيء أو الشخص المشتملة على صفاته الجوهريّة الّتي تميّزه عن غيره وتسمّى أيضا وجدان الذات، والهويّة بالنسبة للفرد أو الجماعة أو المجتمع هي ما يكون به هو أي : تتكوّن عناصر ومقوّمات مميّزة لشخصه وما يثبت وجوده ويؤكّد حضوره في سياق مجتمعي صغير أو كبير وما يوجد أفعاله وانفعالاته ويضبط علاقاته الخاصة أو العامّة، إنّ تلك المقوّمات هي ما تطبعه بسمات وملامح خاصّة تتشكّل منها الهويّة وتتحدّد عناصرها من خلال : الدّين واللّغة والتاريخ

1. اللغة إشكال هويّة :

لعلّ الإجابة عن هذا السؤال تتعلّق بمجموع التصوّرات والاعتقادات والتراكمات النفسيّة والمعنوية التي علقت بذهن العربي عموما والمفتوحة على كون ثورة الحواسيب وانفجار المعلومات وما فتحته من آفاق جديدة للتواصل والبحث العلمي والتطوير التكنولوجي والتبادل المعرفي يعتبر تحديا عولميا يفرض على العربي شروطا عملية تضمن مواكبة العصر والدخول في فلك الآخر دون التماهي مع البعد الوراثي للهويّة في علاقتها مع الذات وارتباطها بالانّية كجوهر مستقل، لأنّ الواقع يفرض الانسلاخ عن الحمولة الثقافيّة الماضويّة التّي تقف حائلا معنويا كبيرا أمام الطاقات العربية لتغيير الواقع المتردي المرتبط بالتخلّف و السكونية .

هذا الواقع الّذي لا يمكن تطويره و إنعاشه في اعتقادهم إلاّ إذا ربطنا الهويّة بتبنّي لغة الآخر لتصبح هذه التقليعة وهم انتصار على السلبية .الّتي لا يمكن أن تحقق حلم الحداثة إلاّ إذا مرت باعتناق التصوّرات التالية :

أ . لاهويّة اللّغة:

وأقصد أ نّ اللغة في عرفهم ليست أجساما حيّة ناطقة بالخصوصية، مفتوحة في " تراكمها التاريخي، في تطوّراتها المتعاقبة، في ميلها لأسلوب معيّن للتعبير عن الجماليات اللفظيّة إنّما تعكس واقع ذلك المجتمع وخصائصه الذاتيّة "[1] بل هي آلة حيادية ووسيلة للتبليغ، تستعمل لضمان التّواصل مع المجموعات البشريّة "وبالتالي يمكن المفاضلة بين اللغة العربية واللّغات الأجنبيّة وإذا اقتضى الأمر تجاهل الدّور المميّز للغة الوطنيّة واعتبارها أداة قابلة للاستبدال بلغة أجنبيّة متميزة عن اللغة الوطنية لكونها أداة جاهزة أنضج وأتمّ وأيسر وأقدر في تحقيق التطوّر المنشود"[2].

---

[1] حامد ربيع : العلاقة الاتصالية بين المفهوم القومي والتطوّر الاجتماعي، اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، أفريل1984، ص251

[2] عبد العزيز العاشوري: اللغة العربية والهوية الثقافيّة وتجارب التعريب، المستقبل العربي، السنة 4، ع27(ايار /مايو)1981، ص15.

وهذا ما يدفع إلى الابتعاد عن أي تهمة تقف حائلا أمام استخدام اللغة الإنجليزية أو الفرنسيّة كبدائل عن اللغة الأم، بوصف اللغة الإنجليزية خصوصا واجهة العولمة الثقافية الّتي تقطع الفواصل بين الأقطار أو الشعوب أو الأفراد . وربط الهويّة باللغة العربية هو فكر عقيم أبان عن محدوديته في ظل منافسة اللغات الأجنبيّة لها في العطاء الحضاري بوجهيه الثقافي والتكنولوجي، ولا أحد يقنعنا بأنّ اللغة العربية في ظل هذا الانفجار قادرة على مواكبة معطيات العصر والتكنولوجيا . لأنّها لغة انبطاح، أي: لغة لا تكفل لنفسها حق الانتشار في العالم، لأنّها لا تملك مصوغات وجود معرفي يمكن لها من خلاله أن تتجاوز معطيات واقع يؤمن بوحدة المعرفة الإنسانية ويدعو إلى ضرورة تبني لغة المركز التي توجه العقل العربي المستلب نحو ضرورة تبني لغة الدول الأقوى علميا وتكنولوجيا وعسكريا.

إن هذا التحدّي الّذي يواجه اللغة العربية يطرح أزمة حقيقية، لأنّها أزمة ترتبط باعتقادات خاطئة تشرّبها المثقفون وتبنّتها النخب المفكّرة التّي أنتجت ما أسماه المفكّر اللّبيي الصادق النّيهوم " المثقّف الجاهل الواسع الاطّلاع"[1] الجاهل بخصوصيته الحضارية، والمنفتح على ثقافة الغرب والمدافع عنها من وحي اعتقاده بأنّ الغرب (أمريكا و أروبا) خزّان الإبداع والفاعليّة .ومن ثمّ فلا مجال للحديث عن الهويّة ولا مجال لربطها باللّغة ،في المشهد الثقافي المفتوح على العالميّة لكون اللّغة العربيّة عاجزة عن الانتشار بنفسها على مستوى العالم المتقدّم الّذي يفرض شروطه وحمولاته الثقافية والتكنولوجيّة .

هذا النّحو تحدّدت العلاقة بين النخبوي واللّغة العربية، التي اتخذت على مستوى الواقع مسار سلبيا غابت فيه ملامح الهويّة انطلاقا من :

. تعطيل العمل باللغة العربية في الإدارات والمؤسّسات التعليمية.

. إعطاء موقعا متفوقا للغة الفرنسية أو الإنجليزية واعتمادها لغة رسمية في المعاملات التجارية والقانونيّة للدّولة، هذا على المستوى الرّسمي، أمّا على مستوى العامة فقد برزت مظاهر العولمة و اللّاهويّة أيضا من خلال: . التعامل باللغات الأجنبيّة ويتجلّى في:

1. التداول بالإنجليزية أو الفرنسيّة في الحياة اليوميّة

2. كتابة لافتات المحال التجارية بالإنجليزية أو الفرنسيّة.

---

[1] للتوسّع انظر :الصادق النيهوم وجهان ومواطن واحد، مجلّة النّاقد ع 24، يونيو 1990 ص 30.

ثمّ أربك اللّغة العربية وجعلها خليطا بين العامي والفصيح والدّخيل، وأربك الهويّة لأنّ "إضعاف اللّغات القوميّة وإحلال اللّغات الأجنبيّة القويّة مكانها يعد شكلا من أشكال الاحتواء في عصر العولمة، بل هو شكل من أشكال تحطيم الثقافات لدى الشعوب الضعيفة وإضعاف انتمائها إلى حضاراتها الأصليّة"[1].

ب . الاعتقاد بضرورة التبعيّة :

لعلّ تزايد الاعتقاد في كون الوزن الحضاري للعرب، لا يمكن أن يثقل إلاّ إذا عمدوا إلى اجتثاث نبت ثقافة الإذعان للموروث الماضوي القديم . كما سبق الذكر . هو ما صوّغ لفكرة الاعتقاد بضرورة التبعيّة للآخر . الّذي يمثل في الواقع المعرفي والثقافي النموذج المبهر الكفيل بتأهيلنا، للانضمام إلى ركب الكونية . أن تعيش في تصوّر مثقفينا، سلوكا عمليا مفتوحا على تقبّل ما يأتي من الغرب (أمريكا وأوروبا) دون مناقشة، بدعوى أنّه إنساني وعالمي.

وهذا التّصوّر يقود إلى ضرورة الالتزام بمعطيات الغرب القيمية والفكريّة والآلية، ومن هذا المنطلق تكون الخصوصيّة، هي الاندماج في النمط العولمي الّذي يؤسس لوحدة المعرفة الإنسانية الّتي تُتجاوز فيها الثقافات والحضارات، وتكرّس سياسة التّحويل القسري للألسن نحو لسان واحد، رفضا لمبدأ التّنوّع اللّساني في العالم[2] من منطلق أنّ اللغة الكفيلة بتغيير الواقع المتخلف هي اللّغة المستعارة الّتي تمثل في المخيال العربي المستلب: لغة انفتاح واكتساح، "معتبرين اللغة العربية لغة بداوة و لغة حضارة تهاوت وانتهت . من منطلق فهم خاطئ لبعض النّظريات اللّسانيّة الحديثة، من أنّ اللغات الحيّة تخضع للتبدّل والتّحوّل وأنّ توقّفها عن التّطوّر يعني موتها أو زوالها"[3].

---

(1) أحمد بن محمد الضّبيب: اللّغة العربيّة في عصر العولمة: مكتبة العبيكان، الرّياض ط1، 2001، ص35

(2) للتوسّع انظر نعمان بوقرة :اللّغة العربيّة بين خصوصيات الهويّة وعالمية الفكر، مجلّة اللغة العربيّة، المجلس الأعلى للّغة العربية، الجزائر، ع24، السداسي الأوّل، 2010، ص79

(3) أحمد الحمو : حول واقعنا اللّغوي في الماضي والحاضر . اللغة العربية أسئلة التّطوّر الذّاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربيّة، سلسلة كتب المستقبل العربي (46)ط1 بيروت 2005ص، 55 .

وليس هناك جدال في أنّ مستوى التعليم والبحث العلمي في مؤسّسات التعليم العالي في الدول الصناعية رفيع جدا، والأساتذة تتوافر فيهم الكفاءة و النّجاعة في العمل، لكنّ الشيء المدهش هو أن نجد المتخرّجين كالمتخرّج الياباني أو الصيني أو اليوغوسلافي أو... يعودون إلى بلدانهم لتوظيف المعلومات الّتي حصلوا عليها خلال دراستهم في خدمة مجتمعهم، وتحقيق الأهداف الّتي سطّرتها حكوماتهم، وذلك بلغتهم الوطنيّة .أما عناصر المثقف العربي الجاهل الواسع الاطلاع التي تفاعلت مع معطيات الواقع الغربي في ظلّ العولمة فإنّها لا تحاول أن تستثمر العلم الّذي حصلت عليه، وتحوّله إلى ثروة وطنيّة، تساهم في تقوية المحتوى وإخضاعه للأوضاع ومعطيات البيئة العربيّة، بل تسعى إلى إبقاء الجامعات ومعاهد التدريس ومؤسّسات البحث العلمي تابعة للثقافة الأجنبيّة، وبعيدة كلّ البعد عن المجتمع العربي. وبالتالي تصير هذه المؤسّسات شبه عاجزة عن القيام بدورها الحضاري في تقويّة اللغة العربية، وإثراء الثقافة العربيّة وتغذية المعرفة العلمية، ورفع المستوى الاجتماعي في كلّ الميادين"[1].

ومن ثمّ تخوض اللغة العربية معركتها ضدّ هيمنة اللغة الأجنبية وضد الانعزال والتقوقع الممارس عليها كلغة تتهم بأنّها لغة أنثروبولوجية تدرس ولا تستعمل، لأنّها في اعتقادهم فاقدة للشرعيّة العلمية بفعل تقهقرها وانكماش حركة التعريب الإصلاحيّة وفشلها في فرض واقع لغوي عربي اللكنة والتّصوّر .

ولعلّ تركيزي انكب في طرح إشكال اللغة الهويّة على العامل النّفسي لأنّي أراه أوّل العوامل وأكثره قدرة على صياغة وجود اللغة أو اضمحلالها ككون مفتوح على عوالم الإبداع والتقنية، ومن ثمّ فإنّه يمكن استشراف رؤية اللغة الهويّة في :

1. الإيمان بالإنّية :

وأقصد بالإنّية هنا، الأنا العربية المؤمنة بخصوصيتها الحضارية كجوهر مستقل، ينتمي إلى معتقد وذات، ووطن، وتاريخ، ويرتبط بفكر يسعى من خلاله إلى تحقيق أهدافه الحضاريّة، واللغة العربيّة في هذا المقام وفي سياق العولمة تحتاج إلى احتواء من أهلها، يبدأ من البعد الشعوري بقوتها وقدرتها ويظهر في تفعيل استعمالها وينتهي إلى إدراك أهمّيتها، إدراك يرتبط بأنّ

---

[1]: عمار بوحوش : لغتنا جزء من هويّتنا، المرجع السابق، ص15.14.

وجود الإنسان، واستمراره مرتبط بوجود اللغة . فلا حيز في أمّة فقدت لسانها وعبّر عنها الغير، وهذا التّصوّر يقود إلى الحديث عن فاعليّة اللغة المحليّة في التطوير والتقدّم لأنّ منطلق التطور إيمان بالأنا وبما يحيط الأنا من خصوصيات، والفعال البديل ليس سوى ضربا للهويّة لا سيما إذا وعينا أنّ " التجربة التاريخيّة للأمّة العربيّة في ممارسة جميع الأنشطة ابتداء بالرّسالة الإسلاميّة والسيادة القوميّة والمعرفة العلميّة و الدّراسات الإنسانيّة والانجازات والابتكارات الّتي أضافتها إلى المسيرة العلميّة للعالم قد دوّنت باللّغة العربيّة ووصلت إلينا وتمت معرفتنا لها من خلال المخطوط و الأثار"[1] هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى نجاح بعض الدّول الآسيويّة كالصين واليابان في إحراز تقدّم علمي حقيقي استنادا إلى تدريس العلوم وإجراء البحوث العلميّة بلغتهم القوميّة، " ففي مقال نشرته صحيفة أساهي شيمبون اليابانيّة وترجمته جريدة الشرق الأوسط يوم الثلاثاء 2000/3/7بعنوان "اليابان إنجليزيّة ضعيفة وجهل بالعالم "جاء مفاده أنّ كبار المسؤوليين السياسيين لا يحسنون الإنجليزيّة، وأنّ اليابانيين يعانون من ضعف شامل في اللّغة الانجليزية وأنّ مصلحة الامتحانات قد بيّنت أنّ ترتيب اليابان يأتي في المركز 18بين الدول الآسيويّة الّتي اشترك رعاياها في امتحانات اللّغة الانجليزية والّتي بلغ عددها21دولة. ولسنا ندري أيّ دولة آسيويّة احتلّت المركز الأوّل بين هذه الدّول، ولكن من المؤكّد أنّها لا يمكن أن تقف ندا لليابان من حيث التّقدّم العلمي والتقني وما أنجزته هذه الدّولة من فتوح حضاريّة أذهلت العالم، وجعلته يحسب لها ألف حساب . ومعنى هذا أنّ اللّغة الأجنبيّة لم تكن عاملا رئيسا في نهضة اليابان الحضاريّة، فقد احتطّت لنفسها خطا مستقلا يأخذ من ثقافة الآخرين وعلومهم، ولكنّه لا ينفصل عن لغته وتراثه وقيمه الثابتة"[2]. والشّأن كذلك في دول أوروبا الأخرى مثل فرنسا وألمانيا وهولندا والدول الاسكندنافيّة وإيطاليا وروسيا وتركيا...إلخ[3].

---

[1] المرجع نفسه، ص51

[2] أحمد بن محمّد الضّبيب: اللغة العربيّة في عصر العولمة، ص 80.79.

[3] للتوسّع انظر: عبد العزيز البسّام :العربيّة الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي، اللغة العربية والوعي القومي، ص 41

2. وعي التحرّر من الآخر:

والوعي في هذا المقام ينبع من الشعور بالتّميّز والقدرة على تحدي الآخر والتّحرّر منه، انطلاقا من استغلال الإمكانات الماديّة والمعنويّة للأمّة العربية والإسلامية في السياق الّذي يجعل العولمة بعدا إيجابيا مفتوحا على التأثر والتأثير، والفعل والتفاعل سعيا لتحقيق الذات ومعرفة الآخر وإمكانات التعايش معه أو التحرّر منه، ويكفي أنّ علماء اللّسان يقرّون اليوم بتداخل موضوع اللغة مع الإيديولوجيا إلى الحدّ الّذي ذهب فيه بعضهم إلى أنّ تعلّم أيّ لغة من اللّغات حتّى العلميّة منها، ما هو في النّهاية إلاّ تعلّم لعقائديّة الناطقين بتلك اللغة، ومن ثمّ فانّ اكتساب اللّغات هو في الأصل إضافة للموروث اللغوي عموما، متى ما استطاع العلماء واللّغويون تكييفه على المستوى الّذي يحافظ على هويّتهم دون تبنّ لثقافة الإذعان، الّتي هي في غياب الوعي لا يمكن أن ترفع السياسي أو المثقف أو المفكّر أو اللّغوي عموما إلى استشعار صفة النّدّية الكفيلة بالتحرّر وإيجاد فرص للإبداع والتغيير الّتي تبدأ من الداخل .

ولعلي أواقف القائلين بأنّ "التراجع عن دراسة التراث ...لحساب النظريات الحديثة في ميادين اللغة والأدب والثقافة بوجه عام لهو دليل هزيمة وقبول بمنطق الآخر، الداعي إلى تغييب الذات بدعوى الإصلاح؛ علما أنّ الآخر كان قد امتلك ناصية تراثه، فحاوره ونقد أنساقه الداخليّة اعتمادا عليه في علاقة حميميّة من متطلّبات اللّحظة الرّاهنة، وربّما لا أكون مغاليا إذا قلت بأنّ اللّحظة الغربية الراهنة، بما تحيل عليه من منجزات في جميع الأصعدة، وفي مقدّمتها الأنظار اللّسانية لهي وليدة عمليّة تفريعيّة واشتقاقيّة من اللّحظة التراثيّة ممثلة في الفكر الأرسطي والأفلاطوني والتيار العقلاني في القرون الوسطى"[1].

إنّ التراث العربي غنيّ وأساسي في حياتنا الثقافيّة، ومن الممكن الإفادة منه في تنمية ثقافتنا واستقلالها ورفعها إلى المستوى الّذي نطمح إليه لتلائم حاجاتنا الرّاهنة.بشرط قراءته قراءة مختلفة . ومن ثمّ فإنّ عوامل الرّبط المحكم بين اللغة والهويّة ينطلق من عدم الفصل بينهما في إطار الفكر فلا مضمون بلا شكل، ولا شكل بلا معنى، ووعي المثقف بأصالة تراثه، هو بداية تشكّل اللغة الهويّة مهما كانت معطيات الآخر ومبرّراته العلميّة . وبداية التّحرّر والانطلاق نحو العالميّة .

---

[1] نعمان بوقرة: اللغة العربيّة وعالميّة الفكر . مقاربة لسانيّة . ص89